

الحوار في السنة النبوية مجالاته وأدابه
**Dialogue in the Prophetic Tradition: Its
Fields and Etiquettes**

م.م. بروج عباس الطيف

Asst.Lect. Burooj Abbas Altayef

جامعة سامراء / كلية العلوم الإسلامية

College of Islamic Sciences /University of Samarra

E-mail:burooj.abbas@uosamarra.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الحوار، الجدل، آداب، نماذج، السنة النبوية.

Keywords: Dialogue, Controversy, Etiquette, Models of the Prophetic Sunna.



الملخص

يشكل الحوار الإنساني إحدى الركائز الأساسية في بناء الحضارات، لما يقدمه من فرصة لترسيخ القيم المشتركة وتعزيز التفاعل والتفاهم بين الأفراد، بما يحقق معاني القدوة، وروح الجماعة، والتقارب والتعايش السلمي. ومن هذا المنطلق، فإن استلهام قيم الحوار من السنة النبوية يمثل خطوة متقدمة في مسيرة بناء الحضارة الإنسانية، حيث يسهم في ترسيخ مبادئ التسامح والتفاهم بين فئات المجتمع المختلفة. ويهدف هذا البحث إلى إبراز مكانة الحوار في السنة النبوية، وبيان دوره في ترسيخ الأخلاقيات التي تقوي روابط المجتمع وتدعم استقراره، بما يسهم في إشاعة الطمأنينة وتعزيز التعايش بين مكوناته المتعددة.

Abstract

Human dialogue represents a fundamental pillar in the development of civilization, as it contributes to consolidating values and ideas that promote communication, interaction, and mutual understanding. It embodies the principles of role modeling, community, rapprochement, and peaceful coexistence. In this context, adherence to the values of dialogue rooted in the Prophetic Sunnah provides an advanced framework for building civilization by fostering tolerance and mutual respect among diverse segments of society. This study seeks to highlight the significance of dialogue in the Sunnah and to demonstrate how its ethical principles serve as key factors in strengthening social bonds and cultivating reassurance across different groups.



المقدمة

الحمد لله الذي شرع الحوار طريقاً للوصول إلى الحق، وجعله أسلوباً راقياً لتبيين الحجة وإظهار الصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي جعل الحوار منهجاً في دعوته، وقدم نموذجاً عملياً يقتدي به الدعاة من بعده.

أما بعد:

فإن السنة النبوية المطهرة تمثل دليلاً عملياً للمسلم في مختلف شؤون حياته، بما تضمنته من توجيهات رفيعة وإرشادات سامية، أضاءت دروب الخير والهداية، وكانت منارات تهدي الحائرين وسط ظلمات الجهل والضلال. ومن أبرز ما تناولته السنة النبوية موضوع الحوار، الذي يعد محور هذا البحث، فقد أولته عناية خاصة، وأكدت على أهمية الأسلوب الذي يمارس من خلاله. وليس ذلك بغريب، فالحوار يمثل الوسيلة الأعمق للتواصل بين البشر، والأقدر على التأثير في النفوس. والمتأمل في السنة النبوية بإنصاف يجدها زاخرة بأرقى صور الحوار، وأجمل أساليبه، وأرفع آدابه.

أهمية الموضوع ودوافع اختياره:

تبرز أهمية دراسة الحوار في عدة نقاط، منها:

أولاً: أنه وسيلة أساسية للتفاهم والتقارب بين الناس، وأداة للإقناع ونقل المعرفة مهما اختلفت الخلفيات والثقافات، كما أنه من أنجع وسائل الدعوة إلى الله وبيان الحق.
ثانياً: أن الإسلام جاء داعياً إلى الحوار القائم على العلم، المبني على المنطق السليم والأخلاق الرفيعة، حوار ينهض بالحجة والبرهان، ويرتكز على العدل والإنصاف، ويكشف الحق حيثما كان.

ثالثاً: أن الحوار يمثل المنهج الأجدر بالاتباع عند بحث القضايا ومعالجة المشكلات بين المسلمين.

منهجي في البحث

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع كتب الحديث النبوي الشريف قديمها وحديثها، إلى جانب الاستفادة من كتب السيرة النبوية، وكذلك المؤلفات التي روت أقوال الصحابة والتابعين عند الحاجة إليها.



خطوات عملي في البحث

أولاً: قمت بجمع مجموعة من الأحاديث النبوية التي تتعلق بموضوع الحوار، مع الاقتصار على الصحيح والمقبول منها، لأبرز من خلالها منهج الإسلام في الحوار، وكيف جسده الرسول ﷺ في تبليغ رسالته وتعاملاته المختلفة، مع ربط ذلك بنصوص قرآنية تؤصل لهذا المنهج. ثانياً: عملت على **تخريج الأحاديث** من مصادر السنة، فذكرت من أخرجها من الأئمة، وإذا ورد الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالتخريج منهما.

خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث رئيسية، وخاتمة، يليها فهرس بالمصادر والمراجع.

- تضمنت المقدمة: دوافع اختيار الموضوع، ومنهجية البحث، والخطة العامة.
- أما **المبحث الأول**: فقد تناول مفهوم الحوار وأهميته.
- وخصص **المبحث الثاني** لعرض مجالات الحوار.
- بينما ركز **المبحث الثالث** على دراسة آداب الحوار.

المبحث الأول: مفهوم الحوار وأهميته

أولاً: مفهوم الحوار

في اللغة يُطلق على مراجعة الحديث وتداوله. فيقال: حاورته أي راجعته الكلام، وتجاوز القوم أي تبادلوا الآراء فيما بينهم. وأصل الكلمة من (الحوار) الذي يدل على الرجوع من حال إلى حال. وقد ذكر ابن منظور: "المحاورة مراجعة الحديث والكلام في المخاطبة" (ابن منظور، ١٩٩٤، ص ٢١٨). وقال الرازي: "المحاورة المجاوبة، والتجاوز هو التجاوب" (الرازي، ١٩٩٩، ص ٦٧).

أما في السنة النبوية فقد وردت الكلمة بمعنى الرجوع، كما في حديث النبي ﷺ: "ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلم إلا كفر، ومن ادعى ما ليس له فليس منا، وليتنبأ مقعده من النار، ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه"، أي رجع عليه (النووي، ١٩٧٢، ص ٤٩).

وخلاصة القول: إن الحوار والمحاورة في اللغة يشتركان في معنى واحد، وهو تبادل الكلام وتداوله بين طرفين أو أكثر، بحيث يقوم على الأخذ والرد بالكلام. ومن هنا فإن المصطلح يشمل كل صور التخاطب والمساءلة والإجابة.

أما في الاصطلاح، فإن مدلوله قريب من معناه اللغوي، وقد عُرّف بعدة تعريفات، منها:

• ما ذكره الهيتي بأنه: "تبادل الحديث بين طرفين، حيث يعرض كل منهما ما يراه صواباً، ويقوم بمراجعة منطق الآخر وفكره، بغرض إيضاح الحقائق وتأكيدهما من وجهة نظره" (الهيتي، ٢٠٠٤، ص ٨).

• وعرفه الهاشمي بأنه: "أسلوب يعتمد على الإقناع الذاتي لفحص الأفكار والمعلومات السابقة، والتحقق من صحتها أو خطئها بطريقة غير مباشرة، بعيداً عن التلقين القائم على الأمر والنهي أو الإلقاء المجرد، فهو يقوم على النقاش المتبادل بين طرفين متضمناً أسئلة وإجابات" (الهاشمي، ١٩٨١، ص ١٣).

ومن خلال هذه التعريفات يظهر أن المفهوم الاصطلاحي للحوار لا يبتعد عن أصله اللغوي، إذ يدور حول تبادل الحديث بين طرفين أو أكثر بهدف الوصول إلى الحقيقة أو عرض وجهة نظر.

أما "المجادلة" فهي مأخوذة من مادة *الجدل* الذي يعني شدة القتال، فيقال: جدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه سُمي لجام الناقة جديلاً. ويُقصد بالمجادلة الخصومة والقدرة عليها (ابن منظور، ١٩٩٤، ص ٣٩١). ومن خلال معاجم اللغة يظهر الفرق بين الحوار والجدل؛ فالحوار تبادل للكلام دون لزوم الخصومة، بينما الجدل يتضمن طابع المنازعة والتعصب للرأي، إلا إذا قُيد بالجدال الحسن،

كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وقوله سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وفي الاصطلاح، عُرّف الجدل بأنه: "محاولة دفع الخصم عن قوله بإيراد الحجة أو الشبهة، أو العمل على تصحيح كلامه، وهو في حقيقته نوع من الخصومة" (الجرجاني، ١٩٨٣، ص ٧٤)، وقد تكرر ذكر لفظ "الجدل" في القرآن الكريم تسعاً وعشرين مرة، غالبها في سياق الذم، عدا ثلاثة مواضع جاءت في مقام محمود: في النحل، والعنكبوت، والمجادلة ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]. أما باقي المواضع فجاءت في سياق ذم الجدل بالباطل أو لعدم جديته وافتقاده لطلب الحق، مثل قوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

أما في السنة النبوية فقد صنف العلماء أبواباً في التحذير من الجدل، ومن ذلك ما ذكره الإمام أبو داود في سننه في "كتاب السنة - باب النهي عن الجدل في القرآن"، حيث روى قول النبي ﷺ: *بالمراء في القرآن كفر* " (أبو داود، ١٩٧٢، ص ١٢، حديث رقم ٤٦٠٣)، وكذلك ما



أورده ابن ماجه في مقدمة سننه في "باب اجتناب البدع والجدل"، ومن ذلك حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾ [آل عمران: ٧] ثم قال: "يا عائشة، إذا رأيتم الذين يجادلون فيه..."

وقد ورد عن النبي ﷺ التحذير من الإفراط في الجدل، إذ قال: "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل"، ثم تلا قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] (ابن ماجه، ٢٠١٤، ص ٣٢، رقم ٤٧)، وهذه النصوص تشير إلى أن الجدل المذموم هو ما كان قائماً على الباطل أو العناد، في حين جاءت بعض الأحاديث لتستعمل لفظ المجادلة بمعنى الحوار والمناقشة.

وخلاصة الأمر: أن الجدل في الأصل غير محمود في القرآن والسنة إلا إذا قيّد بالحسنى أو بالحق، كما دلت على ذلك النصوص. ومن هنا يظهر الفرق بين الحوار والجدل؛ فكلهما يدور حول تبادل الحديث، إلا أن الجدل يتضمن شدة في الخصومة وتمسكاً بالرأي مع شيء من التعصب، بينما الحوار أبعد ما يكون عن الخصومة، ويغلب عليه الهدوء والبحث الموضوعي، مما يجعله أوسع وأشمل من الجدل.

ثانياً: أهمية الحوار

اقتضت سنة الله تعالى في خلقه أن يكون الناس مختلفين في عقولهم ومداركهم، بل وحتى داخل الدين الواحد أو المذهب الواحد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، وهذا الاختلاف بطبيعته يثير الحاجة إلى وسائل تقرب بين وجهات النظر وتقلل من النزاع، فجاءت الدعوة إلى الحوار وسيلة للتعارف والتعايش، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهي دعوة إلى التلاقي على أساس التعاون والخير المشترك بصرف النظر عن الانتماءات الدينية أو العرقية أو اللغوية (الحمد، ٢٠١٢، ص ١٩).

ويقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "إن الناس جميعاً متساوون في أصل الخلق من آدم وحواء، ولا تفاضل بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح"، ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار الآخرين: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، أي ليعتدوا بالتعارف والتواصل فيما بينهم (ابن كثير، ١٩٩٨، ص ٧).

وقد أرشد الإسلام إلى أن نجاح الحوار يقوم على الاعتراف بالآخر، والإيمان بوجود الاختلاف، إذ إن هذا الاعتراف يمنح مساحة للتعرف على الإيجابيات ومعالجة السلبيات. كما أن رسالة الإسلام بطبيعتها رسالة إنسانية عالمية، لم تُخص بجنس أو لغة أو أرض معينة، وإنما أرسل بها النبي ﷺ للناس كافة. ومن هنا، فإن أهمية الحوار تتضح في كونه الأداة التي حملها الأنبياء في دعوة أقوامهم إلى الحق، إذ كانت وسيلة أساسية لإيصال رسالتهم هي الكلمة والحجة، لا القوة أو القهر.

انتقل الأنبياء بأقوامهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور المعرفة بالله تعالى، ثم وضّحوا لهم الطريقة الصحيحة لتطبيق شرع الله. وكان هذا بطبيعته يتطلب حواراً متواصلاً بينهم وبين المرسل إليهم. ولهذا نجد أن موسى عليه السلام جعل مسألة القدرة على البيان أولوية في دعائه، فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [طه: ٢٥-٢٨]. فارتبطت رسالته كلها بقدرة الناس على فهم خطابه؛ إذ لو عجزوا عن إدراك قوله لانقطعت وسيلة التواصل بينه وبينهم.

ومما يلفت النظر أنه عليه السلام لم يطلب قوة أو سلاحاً في مواجهة فرعون، وإنما التمس من ربه فصاحة اللسان ووضوح البيان، كما طلب أن يشد عضده بأخيه هارون لما كان أقدر منه على الخطاب: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون﴾ [القصص: ٣٤]. ومن هذا يتبين أن الحوار من أنجع الوسائل في الإقناع، وأنه أداة فعالة لتصحيح المفاهيم وتغيير الاتجاهات نحو السلوك الأفضل، كما يُعوّد النفوس على تقبل النقد والإنصات لآراء الآخرين.

المبحث الثاني: مجالات الحوار في السنة النبوية

كان الحوار سبيلاً رئيسياً في دعوة النبي ﷺ، إذ مارس أساليبه المتعددة في مخاطبة قومه والمخالفين له. وقد حفظت لنا كتب السيرة والحديث نماذج كثيرة من ذلك، منها ما كان مع أصحابه رضوان الله عليهم.

أولاً: الحوار مع الصحابة.

من أبرز الأمثلة حوارهِ ﷺ مع الأنصار يوم حنين. فقد كان الأنصار شديدي المحبة للنبي ﷺ، متنافسين في الطاعة، ملازمين له، حريصين على العمل الصالح. لكن حين قسّم رسول الله ﷺ الغنائم للمؤلفة قلوبهم، ولم يعطِ الأنصار شيئاً، وجد بعضهم في نفسه، فقالوا: "يغفر الله لرسوله، يعطي قريشاً وسيوفنا تقطر من دمائهم". فلما بلغ ذلك النبي ﷺ جمعهم في قبة، ثم



قال: "يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟" فكانوا يجيبونه: "الله ورسوله آمن". ثم قال "والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم: جئنا طريداً فأويناك، وعائلاً فواسيناك، وخائفاً فأمناك، ومخذولاً فنصرناك". "...ثم بين لهم الحكمة في فعله قائلاً": أفلا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون برسول الله ﷺ إلى رحالكم؟"، وختم بقوله: "الأنصار شعار والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار... وإنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض" (البخاري، ١٩٩٣، ص ١٣٨١، برقم ٣٥٨١)، وقد علق ابن القيم رحمه الله على هذا الموقف فقال: إن النبي ﷺ لما أوضح لهم الحكمة فيما فعل، رجعوا مسرورين بما حصلوا عليه من شرف القرب منه حياً وميتاً، وعدوا ذلك خيراً من كل ما فاتهم من الغنائم (ابن القيم، ١٩٩٤، ص ٢٩٨)، ويظهر من ذلك مدى ارتباط الأنصار بالنبي ﷺ، وحرصهم على صحبته، كما يكشف عن تواضعه وقبوله معاتبته، ثم استمالته قلوبهم بالحوار الهادي المقنع.

ثانياً: الحوار مع المشركين.

ومن أمثلة حوار النبي ﷺ مع غير المسلمين ما رواه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه، في قصة وفد نصارى نجران حين جاؤوا يطلبون مباهلة النبي ﷺ، فقال أحدهم للآخر: "لا تفعل، فوالله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا أعقابنا من بعدنا". ثم اتفقوا على الصلح وطلبوا من النبي ﷺ أن يبعث معهم رجلاً أميناً، فقال ﷺ: "لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين"، فوقع الاختيار على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، وقال فيه: "هذا أمين هذه الأمة" (البخاري، ١٩٩٣، ص ١٥٩٢، برقم ٤١١٩).

ويستفاد من هذه القصة - كما ذكر ابن حجر - جواز مجادلة أهل الكتاب بل ووجوبها إذا تعينت مصلحتها، وكذلك مشروعية المباهلة عند إصرار الطرف الآخر بعد إقامة الحجّة (ابن حجر، ١٣٩٠هـ، ص ٩٥). أما ابن هشام فقد روى أن النبي ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فلما أصروا على قولهم نزل صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية، مبيناً بطلان دعواهم (ابن هشام، ١٩٥٥، ص ٤١٦). ويؤكد الطبري أن الله أمر نبيه ﷺ بدعوتهم إلى المباهلة إن رفضوا الحق، فلما نكلوا عن ذلك لجأوا إلى المصالحة، فقبلها رسول الله ﷺ وأقرهم على الجزية (الطبري، ٢٠٠١، ص ٤٦٨؛ ابن كثير، ١٩٩٨، ص ٤٨).

يتضح من ذلك أن النبي ﷺ حافظ على أدب الحوار مع مخالفيه، فعاملهم بالحلم والإحسان رغم وجودهم في المدينة تحت سلطانه، وأقام عليهم الحجّة والتي هي أحسن. كما نلاحظ أن امتناعهم

عن المباهلة كان اعترافاً ضمنياً بصدقه ﷺ، ومع ذلك لم يُكرههم، بل قَبِل منهم الصلح، مما يعكس المنهج النبوي الراقي في إدارة الحوار.

ثالثاً: الحوار مع الشباب

ومن النماذج الرفيعة في حوار النبي ﷺ مع الشباب ما جاء في مسند أحمد، أن شاباً أتى إلى النبي ﷺ يطلب الإذن في الزنا، فاستنكر الصحابة كلامه وزجروه، لكن النبي ﷺ قرّبه إليه وقال: "ادن"، ثم سأله: "أتحبه لأملك؟"، فأجاب الشاب: لا والله، جعلني الله فداك. فقال ﷺ: "ولا الناس يحبونه لأمّاتهم"، ثم سأله عن ابنته، وأخته، وعمته، وخالته، وفي كل مرة كان الشاب يجيب بالنفي، فيقول له النبي ﷺ: "ولا الناس يحبونه لذلك". ثم وضع يده عليه ودعا له: "اللهم اغفر ذنبه، وظهر قلبه، وحصن فرجه)" (أحمد بن حنبل، ٢٠٠١، ص ٥٤٥، برقم ٢٢٢١١).

هذا الموقف يبرز منهج النبي ﷺ في الحوار مع الشباب؛ إذ لم يواجه انفعالهم بالزجر أو الغضب، بل أقنعهم بالعقل والحجة، مستخدماً أسلوباً رقيقاً قائماً على الحكمة والموعظة الحسنة. كما أنه جسّد القدوة الحسنة التي أمر الله تعالى بها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

رابعاً: الحوار مع النساء

ومن صور حوار النبي ﷺ مع النساء ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ خرج يوم عيد إلى المصلّى، فمرّ على النساء فخاطبهن قائلاً: يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار"، فسألته عن السبب فقال: "تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"، فسألته عن معنى نقصان العقل والدين، فبيّن أن شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل، وأنها في حال الحيض تُعفى من الصلاة والصيام (البخاري، ١٩٩٣، ص ١١٦، برقم ٢٩٨).

ويستفاد من هذا الحوار عدة أمور تربوية وعلمية، منها: أسلوب النبي ﷺ في مخاطبة النساء برفق وإكرام، وحرصه على تنبيههن إلى واجب الصدقة والابتعاد عن أسباب المعصية. كما أن قوله عن "نقصان العقل والدين" ليس انتقاصاً من قيمة المرأة، وإنما هو بيان لحقيقة تتعلق بالتكاليف الشرعية التي راعت طبيعتها وفطرتها. وقد أساء بعض الناس فهم هذا الحديث فظنوه إهانة، بينما هو في حقيقته بيان رحمة وتخفيفٍ من الله تعالى. والإسلام هو الدين الوحيد الذي



أعطى المرأة مكانتها وحقوقها، بينما جاء سوء الفهم من بعض المسلمين الذين لم يحسنوا عرض الدين (خضر، د.ت، ص ١٢٣).

المبحث الثالث: آداب الحوار في السنة النبوية

للحوار ضوابط وآداب تجعل منه وسيلة ناجحة للإقناع والتأثير، وقد جسدها النبي ﷺ في حياته كلها. ومن أبرز تلك الآداب: حسن التواضع مع المحاور، الإصغاء الجيد إليه، تجنب مقاطعته، وإظهار الاحترام لرأيه، مما يفتح القلوب ويهيئ لقبول الحق.

أولاً: التواضع مع المحاور

من أهم خصال المحاور الناجح أن يتواضع لمخاطبه، وألا يُشعره بالتعالي أو الاستخفاف. فالكبر من أعظم أسباب فشل الحوار، بينما التواضع يقرب القلوب. وقد كان النبي ﷺ أصدق مثال في ذلك، إذ كان يترك مظاهر العظمة ليجلس مع أصحابه والغرباء. ومن أمثلة ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي رفاعة قال: "انتهيت إلى النبي ﷺ وهو يخطب، فقلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه لا يدري ما دينه. فأقبل عليّ النبي ﷺ وترك خطبته حتى جاء إليّ، فأُتيت بكرسي فجلس عليه، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم رجع إلى خطبته فأتمها" مسلم، ١٩٥٥، ص ٥٩٧، برقم ٨٨٦).

وهذا الموقف يوضح مدى تواضعه ﷺ، إذ قطع خطبته العامة لأجل سؤال رجل واحد غريب، فجلس يعلمه حتى اطمأن قلبه، ثم عاد ليكمل خطبته، مما يعكس عظمة خلقه وحرصه على هداية الأفراد.

ثانياً: حسن الاستماع والإصغاء للمحاور

يُعدّ الإصغاء الجيد قاعدة أساسية في فن الحوار، ودليلاً على التقدير والاحترام للطرف الآخر. وقد أكد علماء الأدب والتربية أن من تمام المروءة أن يُحسن الإنسان الاستماع لمن يحدثه، وألا ينشغل عنه أو يقطعه؛ لما لذلك من أثر في تعزيز الثقة المتبادلة. وقد تميز النبي ﷺ بكونه أوسع الناس صدراً وأكرمهم سمعاً، فكان ينصت لمحدثه حتى ينتهي من كلامه دون مقاطعة أو استخفاف (الخضر، د.ت، ص ٢١٢).



وقد وصفه الله تعالى في مشهد المعراج بقوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧]، قال ابن القيم: هذا غاية في وصف أدبه ﷺ، إذ لم يلتفت يمينًا أو يسارًا ولم يتجاوز ما أرى، وهو من كمال الأدب (ابن القيم، ١٩٩٦، ص ٣٦١)، وإذا كان هذا حاله مع ربه جل وعلا، فإن أدبه مع الناس في الحوار كان أسمى مثال لحسن الإصغاء والإنصات.

ثالثاً: منح المحاور الفرصة الكافية

من أبرز سمات النبي ﷺ في الحوار أنه كان يترك المجال لمحاوريه ليعبروا عما يريدون دون تضيق. وهذا سلوك رفيع يُعد من أهم أسباب نجاح الحوار. في المقابل، فإن مقاطعة المتحدث أو الاستهانة بكلامه أو تكذيبه قبل أن يتم حديثه من آفات الحوار الشائعة التي تضعف قيمته. وقد أشار البستي إلى أن من سوء الأدب أن يجعل السامع بتكذيب المتحدث أو مقاطعته، بل الأولى أن يُنصت له حتى ينتهي، ثم يُناقش قوله بالحكمة (البستي، ١٩٧٧، ص ٧٢).

ولعل من أعظم الأمثلة في السيرة ما وقع بين النبي ﷺ وعتبة بن ربيعة. فقد جاء عتبة ليعرض على النبي ﷺ المال والسلطان والجاه مقابل أن يترك دعوته، فاستمع إليه النبي ﷺ حتى فرغ من حديثه، ثم قال: "أفرغت يا أبا الوليد؟" فلما أجابه بالإيجاب، بدأ النبي ﷺ بتلاوة مطلع سورة فصلت، فأنصت عتبة حتى النهاية، ثم عاد إلى قومه معترفاً أنه لم يسمع مثل هذا القول من قبل، وأنه ليس بسحر ولا شعر ولا كهانة، داعياً قومه إلى ترك النبي وما هو فيه (ابن هشام، ١٩٥٥، ص ٢٩٤).

إن هذا الموقف يوضح عظمة خلق النبي ﷺ في حسن الاستماع وضبط النفس، حيث ترك لمحاوره المجال ليقول ما عنده، ثم أجابه بهدوء وطمأنينة، مما يجعل منه قدوة في هذا الباب.

رابعاً: الرفق وسعة الصدر في الحوار

كان الرفق واللين والحلم من الصفات الملازمة للنبي ﷺ في حواراته مع مختلف فئات المجتمع. وهذه الصفات تجعل الحوار أكثر قبولاً، وتضفي عليه الطمأنينة والهدوء. فالمحاور كثيراً ما يواجه ما يثير الغضب أو الاستغزاز، فإن لم يكن متحلياً بسعة الصدر ضاق ذرعاً بالنقاش،



وأفقد الحوار قيمته. لذا، كان النبي ﷺ يعالج المواقف بالحلم والصبر، ويقابل المخالف بالصفح والإحسان، الأمر الذي جعل حواراته أعمق أثرًا وأبعد غاية.

أخذه بالحلم والصبر وسعة الصدر: فالمحاور محتاج لذلك أشد الحاجة؛ إذ هو معرض لما يثيره، ويحرك دواعي الغضب فيه، فإذا ضاق صدره، وقل احتمالته تنغصت حياته، ولم يصدر عنه خير كثير أو عمل كبير؛ فخير للمحاور إذاً أن يتلقى الأذى بصدر رحب، وأفق واسع ونفس مطمئنة؛ وذلك بتجنب الانفعال والغضب، لإنجاح الحوار، والتخلي بالهدوء والحلم والصفح وتجاوز أخطاء المخالف في الرأي،

قال تعالى واصفًا نبيه ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال أيضًا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. فهاتان الآيتان تمثلان المنهج القرآني في الحوار، وهو اللين في القول، والحلم والصبر، والإعراض عن الجاهل، ومقابلة الإساءة بالعفو والإحسان. وقد جسّد النبي ﷺ هذه القيم في كل مواقفه، فكان ألين الناس قولًا، وأوسعهم صدرًا، وأرحمهم حلمًا.

فاللطف في الخطاب وبشاشة الوجه مما يفتح القلوب ويقرب النفوس، في حين أن الجفاء والغلظة ينقران المحاور ويجعلان الحوار عقيمًا. ولهذا كان على المحاور أن يتحلّى بالبرقة وحسن المعاملة، وألا يتعالى على من يحاوره. وقد امتنّ الله على نبيه بأنه جعله رفيقًا بعيدًا عن الفظاظة، فقال سبحانه: ﴿قَبِيْمًا رَحِيْمًا مِّنَ اللّٰهِ لِيْنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن دلائل عظمة هذا الخلق قوله ﷺ: *إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف* (مسلم، ١٩٥٥، ص ٢٠٠٣، برقم ٢٥٩٣)، فالأصل في الحوار إذن هو الرفق واللين، وهو ما تميزت به سيرة النبي ﷺ.

بعد هذا العرض يمكن استخلاص جملة من النتائج:

١. الحوار مقصد أصيل في السنة النبوية، لم يقتصر على جانب محدد، بل تعددت أشكاله وتنوعت موضوعاته باختلاف المقام والأشخاص.
٢. الحوار منهج في التفكير والدعوة، اعتمده الرسول ﷺ وسيلة أساسية في إقناع المخالفين، وهداية الناس، ونشر القيم الإسلامية.
٣. أهمية استحضار القيم الحوارية في السنة، من أقوال وأفعال وتقارير، لما تحمله من دلالات تربوية ودعوية.
٤. النبي ﷺ كان نموذجاً حياً للحوار الراقي، مارس الحوار مع مختلف الفئات والطبقات، ملتزماً بأرقى آداب الحديث والإقناع.
٥. آداب الحوار تسهم في بناء الفرد والمجتمع، إذ تفتح آفاق التفكير، وتُعزز مهارات التواصل، وتوثق أواصر العلاقات الإنسانية على أساس الاحترام والتقدير.



المصادر والمراجع

- ابن القيم. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد. (١٩٩٦م). مدارك السالكين. (الطبعة الثالثة). دار الكتاب العربي. بيروت.
- ابن حجر. احمد بن علي بن محمد. (١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ). فتح الباري بشرح البخاري. (الطبعة الاولى). المكتبة السلفية. مصر.
- ابن كثير. عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير. (١٩٩٨م). تفسير القرآن العظيم. (الطبعة الاولى). دار الكتب العلمية. بيروت: لبنان.
- ابن ماجه. محمد يزيد ابن ماجه الربيعي القزويني. (٢٠١٤م). سنن ابن ماجه. (الطبعة الثانية). دار الصديق للنشر. الجبل. السعودية.
- ابن منظور. محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. (الطبعة الثالثة). دار صادر. بيروت.
- ابن هشام. عبد الملك بن هشام. (١٩٥٥م). السيرة النبوية. (الطبعة الثانية). مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر.
- أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير. (١٩٧٢م). سنن أبي داود. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.
- احمد بن حنبل. (٢٠٠١م). مسند احمد. (الطبعة الاولى). مؤسسة الرسالة.
- البخاري. محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي. (١٩٩٣م). صحيح البخاري (الطبعة الخامسة). دار ابن كثير. دار اليمامة. دمشق.
- البيهقي. محمد بن حبان. (١٩٧٧م). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الجرجاني. عبد القاهر. (١٩٨٣م). التعريفات. (الطبعة الاولى). دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.
- الحماد. محمد ابراهيم احمد. (٢٠١٣م). الحوار في السيرة النبوية. (الطبعة الثانية). دار ابن خزيمة. الرياض.
- الخضر. محمد الخضر حسين. (١٩٩٧م). محمد رسول الله وخاتم النبيين. الدار الحسينية.
- خضر. السيد علي خضر. (بدون تاريخ). الحوار في السيرة النبوية. كلية التربية. جامعة المنصورة.
- الرازي. محمد بن زكريا. (١٩٩٩م). مختار الصحاح. (الطبعة الخامسة). المكتبة العصرية. بيروت.
- زمزمي. يحيى زمزمي. (٢٠٠٧م). الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة. (الطبعة الثالثة). دار المعالي. الدمام.
- الطبري. محمد بن جرير. (٢٠٠١م). تفسير الطبري. (الطبعة الاولى). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان. القاهرة. مصر.
- مسلم. مسلم بن الحجاج. (١٩٥٥م). صحيح مسلم. مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه. القاهرة.
- النووي. محيي الدين يحيى بن شرف. (١٣٩٢هـ). شرح النووي على مسلم. (الطبعة الثانية). دار احياء التراث العربي. بيروت.
- الهاشمي. عبد الحميد الهاشمي. (١٩٨١م). الرسول العربي المربي. (الطبعة الاولى). دار الثقافة. دمشق.
- الهيتمي. عبد الستار ابراهيم. (٢٠٠٤م). الحوار الذات والآخر. سلسلة كتاب الامة رقم ٩٩.
1. Ibn al-Qayyim. Muhammad ibn Abi Bakr ibn Ayyub ibn Saad. (1996). Madarik al-Salikin. (Third edition). Dar al-Kitab al-Arabi. Beirut.
 2. Ibn Hajar. Ahmad ibn Ali ibn Muhammad. (1380-1390 AH). Fath al-Bari bi Sharh al-Bukhari. (First edition). Al-Maktaba al-Salafiyya. Egypt.
 3. Ibn Kathir. Imad al-Din Ismail ibn Umar ibn Kathir. (1998). Tafsir al-Quran al-



- Azim. (First edition). Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut, Lebanon.
4. Ibn Majah. Muhammad Yazid ibn Majah al-Rubai al-Qazwini. (2014). Sunan Ibn Majah. (Second edition). Dar al-Siddiq for Publishing. Jubail, Saudi Arabia.
 5. Ibn Manzur. Muhammad ibn Makram. (1414 AH). Lisan al-Arab. (Third edition). Dar Sader. Beirut.
 6. Ibn Hisham. Abd al-Malik ibn Hisham. (1955). Al-Sirah al-Nabawiyyah. (Second edition). Mustafa al-Babi al-Halabi Press and Sons, Egypt.
 7. Abu Dawood. Sulayman ibn al-Ash'ath ibn Ishaq ibn Bashir. (1972). Sunan Abi Dawood. Al-Asriya Library. Saida, Beirut.
 8. Ahmad ibn Hanbal. (2001). Musnad Ahmad. (First edition). Al-Risalah Foundation.
 9. Al-Bukhari. Muhammad ibn Ismail al-Bukhari al-Ja'fari. (1993). Sahih al-Bukhari. (Fifth edition). Dar Ibn Kathir, Dar al-Yamama. Damascus.
 10. Al-Busti. Muhammad ibn Hibban. (1977). Rawdat al-Uqala wa Nuzhat al-Fudala. Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut.
 11. Al-Jurjani. Abd al-Qahir. (1983). Al-Ta'rifat. (First edition). Dar al-Kutub al-Ilmiyya. Beirut, Lebanon.
 12. Al-Hamad. Muhammad Ibrahim Ahmad. (2013). Al-Hiwar fi al-Sirah al-Nabawiyyah. (Second edition). Dar Ibn Khuzaymah. Riyadh.
 13. Al-Khidr. Muhammad Al-Khidr Hussein. (1997). Muhammad, the Messenger of Allah and the Seal of the Prophets. Al-Husseiniya Publishing House.
 14. Khidr. Sayyid Ali Khidr. (No date). Dialogue in the Prophetic Biography. Faculty of Education. Mansoura University.
 15. Al-Razi. Muhammad ibn Zakariya. (1999). Mukhtar al-Sihah. (Fifth edition). Al-Asri Library. Beirut.
 16. Zamzami. Yahya Zamzami. (2007). Dialogue: Its Etiquette and Rules in Light of the Quran and Sunnah. (Third edition). Dar Al-Maali. Dammam.
 17. Al-Tabari. Muhammad ibn Jarir. (2001). Tafsir Al-Tabari. (First edition). Dar Hija for Printing, Publishing, Distribution, and Advertising. Cairo, Egypt.
 18. Muslim. Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi. (1955). Sahih Muslim. Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners Printing Press - Cairo.
 19. Al-Nawawi. Muhyi al-Din Yahya ibn Sharaf. (1392 AH). Sharh Al-Nawawi on Muslim. (Second edition). Dar Ihya al-Turath al-Arabi. Beirut.
 20. Al-Hashimi. Abdul Hamid Al-Hashimi. (1981). The Arab Messenger, the Educator. (First edition). Dar Al-Thaqafa. Damascus.
 21. Al-Hayti. Abdul Sattar Ibrahim. (2004). Dialogue: The Self and the Other. Series of the Book of the Nation No. 99.